حديث القرآن والتاريخ

عن غوروش

=============

لنا أن نقول الآن أن مسألة لقب " ذى القرنين " قد حلت نهائيا ، وليس ثمة ريب فى أن تصور ذى القرنين لغوروش كان قد وجد ، وان غضضنا النظر عن الشهادات الصريحة التى يشهد بها العهد العتيق ، فان تمثال غوروش نفسه لشهادة حسية ملموسة على صحة ما نقول ، وبقى الآن أن نرى هل الحلة التى فصلها له القرآن توافقه أم لا ؟ وسنرى أنها توافقه كل الموافقة ،

وقد سبق لنا فى بدء المقال أن أتينا على خلاصة ما قاله القرآن فى شأن ذى القرنين ، ويحسن بنا أن نعيد النظر اليها مرة أخرى ،

انا مكنا له فى الأرض :

١ — ان أول مما وصف به القرآن ذا القرنين هو قوله " انا مكنا له فى الأرض وآتيناه من كل شئ سببا " (٨٤) ، أى أننا منحناه السلطان والتثبت فى الملك وهيأنا له جميع الوسائل والمعدات التى كان يحتاج اليها لتدعيم حكمه واتمام فتوحه ومن أسلوب القرآن انه كلما ينسب نجاح شخص وسلطانه الى الله مباشرة — كما نراه فى هذه الآية — يريد بذلك أمرا عظيما قد وقع على خلاف المعهود ولذلك صار هبة من الله ورحمة خاصة من لدنه ، فمثلا نرى فى سورة يوسف

أنه يقول " وكذلك مكنا ليوسف فى الأرض " (١٢ : ٥٦) ، أى جعلنـــا يوسف متمكنا فى أرض مصر وذلك لأن يوسف عليه السلام وصل الى حكم مصـــر بطريقة عجيبة غير معهودة ، ولذلك نسب الى الله ، ليبين أنه كان من نعـــم الله الخصوصية عليه أن أخرجه من السجن وأجلسه على عرش البلاد • ولمـــا كان أسلوب الكلام عن ذى القرنين نفس هذا الاسلوب كان لزاما أن يكون وصـول ذى القرنين كذلك الى مقام الملك والسلطان فى ظروف غير عادية فيكون منحـــة خصوصية من عند الله •

واذا نظرنا من هذه الناحية الى غوروش ، نجد كأن صورا صور ذى القرنين صورة مطابقة للأصل تماما ، فقد بدأ حياته فى ظروف أحاطت بها الحوادث المحيرة للعقول ، حتى سبكتها فى قالب اسطورة : انه لم يولد بعد الا أن والد أمه أصبح عدوا لدودا له ، يريد الفتك به ولكن الرجل الذى انتدبه لقتله ، امتـــلأ قلبه عطفا وحنانا عليه ، فاختطفه من براثن الموت • ثم انه ينشأ فى الغابـــات والصحارى والجبال ، ويعيش عيشة الرعاة السهليين المجهولين فبينما هو كذلـــك اذ تتغير الأحوال بغتة ، وتقوده الى ساحات الجد والعمل ، مشمرا عن ساعديه فيخلو له ميدانا ماهدا بدون مزاحمة ! لاريب أن سير الحوادث الحياة العاديـــة لا يكون هكذا • انه حقا أمر فذ ، نادر ، عجيـب !

وآتينـا من كل شــئ سببـــا :

ثم قال " وآتيناه من كل شئ سببا " أى وهيناه كل الوسائل للعمل والنجاح •

انظر كيف تطابق هذه الكلمات من الاية الأمر الواقع ؟ ان الشاب الذى كان بالأمس راعيا مجهولا ، قد استوى اليوم على عرش الملك ، وملك جميع ما يحتاج اليه من وسائل العطل بدون حرب ونضال ! يقول مؤرخو اليونان ان جميع قبائل فارس قد اتفقت على طاعته من تلقاء نفسها ، وظهرت فى التاريخ أول مرة المملكة الفارسية المتحدة • ثم احتشدت له جيوش عظيمة لم تملكها مملكة من قبل •

المهمة الأولى الغربية :

٢ ـ ثم ذكر القرآن لذى القرنين ثلاث مهمات ،

كانت الاولى منها الى " مغرب الشمس " والغرض الواضح من " مغرب الشمس" الجهة التى نرى الشمس تغرب نحوها ، أى جهة الغرب ، وليس معنى ذلك مكان غروب الشمس الحقيقة ، اذ لا يوجد ولا يمكن أن يوجد مكان كهذا • وان كل اللغات لتعبر عن الغرب والشرق بـ " مغرب الشمس " وبـ " مطلع الشمس " ونجد فى العهد العتيق كذلك تعبيرات كهذه ، فنقرأ مثلا فى صحيفة زكريا " يقول رب الجموع انى أنجى شعبى من البلد الذى تطلع منه الشمس ، ومن البلد الذى تغرب فيه الشمس " (٨ : ٧) ، أى أنجى بنى اسرائيل من مصر وبابل ، اذ مصر لفلسطين بلاد المغرب ، وبابل بلاد المشرق • هذا أمر واضح لا يحتاج الى البحث ، الا أن أمرا جليا كهذا أصبح معقدا لولع المفسرين بالعجائب ، فتوهموا أن ذا القرنين وصل الى المكان الذى تغرب فيه الشمس حقيقة !

والحاصل أن مهمته الاولى كانت الى الغرب ، ولا ريب أنها كانت مهمة ليديا ، لأنك ان مشيت من ايران الشمالية الى آسيا الصغرى ، تكون قد مشيت نحو الغرب تماما •

وقد رأيت آنفا أن غوروش ما كاد يضع تاج فارس ومادا على رأسه ، حتى فاجأه

ملك آسيا الصغرى ، كروسس ، بالجهوم ولقد تكونت مملكة آسيا الصغرى التي عرفت باسم ليديا ، في القرن السابق للحوادث التي نحن بصددها ، وكانت عاصمتها مدينة سارديز (   ) . ولقد سبقت حروب بين مادا وليديا قبل ارتقاء غوروش العرش ، وأخيرا صالح والد كروسس ، جد غوروش ، استياغس ، ولأجل تصميم الاتحاد ، تصاهرت الأسرتان المالكتان ، ولكن كروسس داس كل هذه العلاقات والقرابات حين كبر عليه أن تنشأ امبراطورية عظيمة باتحاد فارس ومادا تحت زعامة غوروش الناجحة ، فحرض أولا حكومات بابل ، ومصر واسبارتا عليه ، ثم استولى باغارة فجائية على بلدة بتريا (   ) الواقعة على الحدود .

فاضطر غوروش الى رد سيف المهاجم الى نحره ، فخرج من عاصمة مادا ، هغ متانا (همدان) وانقض كالصاعقة على خصمه ، ولم يطل النضال ، بل سقطت مملكة ليديا كلها ساجدة أمام قدميه بعد موقعتين : بتريا وسارديز !

وقد أتى هيرودتس على تفاصيل هذه الحروب ، وهي ممتعة ، فقال ، كان انتصار غوروش سريعا جدا لم يتوقعه أحد ، فما مضت على معركة بتريا أربعة عشر يوما الا وخضعت عاصمة ليديا المنيعة ، ووقف ملكها ، كروسس ، أسيرا بين يدي الفاتح ! فأصبحت آسيا الصغرى كلها من بحر الشام الى البحر الأسود خاضعة لغوروش ، ولكنه مازال يتقدم ويتوغل ، حتى بلغ آخر المغرب ، أي الى ساحل البحر. وهنا ـ طبعا ـ وقفت أقدامه ، كما وقفت بعد اثني عشر قرنا أقدام موسى بن نصير على الساحل الشمالي من افريقية .

واجتاز غوروش من هغ متانا الى ليديا ألفا وأربعمائة ميل وكان لا يقدر على المشي فوق أمواج البحر ، فوقف ، فاذا هو يرى الشمس تغرب في عين الخليج الساحلي . وكان له هذا المقام بلا ريب مغرب الشمس أي نهاية المغرب .

وجدها تغرب فى عين حمئة ووجد عندها قوما :

لنفتح خريطة الساحل الغربى لآسيا الصغرى أمامنا ، نرى فيها معظم الساحل قد تقطع فى خلج صغيرة ، لاسيما على مقربة من أزمير ، حيث اتخذ الخليج صورة عين ، كانت سارديز على مقربة من الساحل الغربى ، ولا تبعد كثيرا من أزمير الحاضرة ، فلنا أن نقول أن غوروش لما تقدم بعد استيلائه على سارديز ، وصل من ساحل بحر ايجه الى مكان قريب من أزمير ، ورأى الساحل قد اتخذ صورة تشبه العين ، وكان الماء قد انكدر من وحل الساحل ، فرأى الشمس تغرب مساء فى هذا العين ، هذا هو ما عبر عنه القرآن بقوله " وجدها تغرب فى عين حمئة " أى انه تراءى له كأن الشمس تغرب فى بقعة كدرة من الماء .

ومن المعلوم أن الشمس لا تغرب فى مكان ما ولكنك ان وقفت على ساحل بحرى ، لرأيت الشمس كأنها تغرب رويدا رويدا فى البحر .

المهمة الشرقيـة :

٢ — وكانت مهمته الثانية الى شرق الشمس ،أى فى جهة الشرق ، فهيرودتس وتى سياز كلاهما يذكران هذه المهمة الشرقية التى قام بها غوروش بعد فتحه ليديا ، وقبل استيلائه على بابل ، فقالا " ان طغيان بعض القبائل الهمجية الصحراوية حمله على القيام بهذه المهمة " .

وهذا يطابق ما قاله القرآن " حتى اذا بلغ مطلع الشمس ، وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا " أى أنه لما وصل الى نهاية الشرق ، رأى الشمس تطلع على قوم ليس لديهم ما يستترون به عن قيظها ، بمعنى أنهم كانوا من القبائل الرحالة التى لا تسكن المدن ولا تبنى لهما البيوت .

قبائل الشرق الرحالة : ٤٧

من كانت هذه القبائل الرحالة ؟ يظهر من بعض ما صرح به مؤرخو اليونـــان أنها كانت قبائل بكتريا ، أى بلخ ، ولو نظرنا فى الخريطة لوجدنا " بلخ " بمثابة الشرق الأقصى لايران ، لأن الأرض بعدها ترتفع وتسد الطريق ، والظاهـــر أن قبائل قدوسيا كانت أخذت تسعى فى الفساد على حدوده الشرقية ، فقام من مكانه حـــتى وصل بلخ فاتحا ، والمقصود من قدروسيا ، البلاد التى تسمى الآن بمكران وبلوخستان .

المهمة الثالثة الشمالية وسد يأجوج ومأجوج :

٤ ـ وقام بهجوم ثالث على بلاد جبلية كانت تغير عليها من ورائها يأجوج ومأجـــوج وهنالك بنى السد ، كانت هذه مهمته الثالثة ، وصل بها ، تاركا على يمينـــه بحر الخزر ، الى جبال القوقاز (   ) حيث وجد مضيقا بين جبلـــين منهمـــا .

ذكر القرآن هذا الخبر قائلا " حتى اذا بلغ بين السدين ، وجد من دونهما قوما لا يكادون يفقهون قولا " ، أى أنهم كانوا جبليين متوحشين ، حرمــــوا من المدنية والعقل والفهم .

والمقصود بسدين ، مضيق فى جبال القوقاز ، وانك تجد على يمين القوقـــاز بحر الخزر الذى يسد طريق الحافة الشرقية منها ، وعلى اليسار البحر الأســـود الذى يسد طريق الحافة الغربية ، وترى فى الوسط سلسلة جبالها الشاهقـــة التى صارت جدارا طبيعيا ، فلم يكن هنالك منفذ للمهاجمين من الشمــــال الا مضيق وسطى فى هذه الجبال ، يجتازه المهاجمون ويشنون الغارات علـــى البلاد الواقعة وراءه ، فبنى قوروش فى هذا المضيق سدا حديديا ، وأقفـــل به الطريق على المغيرين ، ولم يأمن أهل سهول قوقاز وحدهم بهذا الســـد بل أصبح السد بابا مقفلا منيعا لسلامة سائر بلاد آسيا الغربية ، فأمنت جميع الشعوب القاطنة فى آسيا الغربية وفى مصر من جهة الشمال .

انظر الخريطة ، تجد آسيا الغربية تحتها ، وبحر الخزر فوقها ، والبحر الأسود على يمينها ، وقد سدت جبال القوقاز ما بين البحرين ، فهذان البحران وسلسلة جبال القوقاز ، أوجدت سدا طبيعيا يمتد الى مئات الأميال ، ولم يكن هناك خلل في هذا الجدار الهائل ، ينفذ منه شعوب الشمال الا ذلك المضيق ، فعمد غوروش اليه وقفله ببناء سد حديدي لا يتسلق عليه ولا ينقب فيه ، فكان السد بمثابة باب قد أحكم أقفاله بين آسيا الغربية والبلاد الشمالية .

أما القوم الذين وجدهم ذو القرنين هنالك ، وكانوا خلوا من العقل ، فيحتمل أن يكونوا القوم الذين ذكرهم اليونان باسم " كولش " وذكروا في لوحة داريوش باسم " كوشيا " . هؤلاء الذين شكوا الى غوروش هجمات يأجوج ومأجوج ، ولما كانوا مجردين من الحضارة وصفهم القرآن بقوله " لا يكادون يفقهون قولا " أي لا يفهمون الكلام .

أوصاف ذى القرنين الأخلاقية فى القرآن :

٥ — والآن تأتي أمامنا أوصاف ذى القرنين الأخلاقية التى ذكرها القرآن ، فأولها عدله وحبه لرعيته . لنرى الى أي حد ينطبق هذا الوصف على حياة غوروش ؟

يخبر القرآن أن الله قال له في شأن الذين وجدهم في الغرب : " اما أن تعذبهم واما أن تتخذ فيهم حسنا " . أي أصبح هؤلاء فى قبضة يدك فلك أن تعاقبهم أو تعاملهم بالحسنى .

لاشك في أن هؤلاء كانوا الشعب اليوناني فى ليديا . هاجمه ملكهم كروسس ، بدون حق ناسيا العهود والقرابات ، ولم يكتف بهجومه ، بل حرض عليه جميع الدول القوية المعاصرة . والآن بعد أن خاب سعيه ، وعاد كيده في نحره ، كان لغوروش أن يعاقبه على سوء عمله . ولو فعل ذلك

لما عوتب فيه ، لأنه كان له الحق في ذلك . هذا هو الأمر الذي عبر عنه القرآن بقوله : " اما أن تعذبهم واما أن تتخذ فيهم حسنا ".

فماذا فعل ذو القرنين ؟ انه قال : بل أعاملهم بالحق ، لأني لست من الذين يميلون الى الظلم ، " أما من ظلم فسوف نعذبه ثم يرد الى ربه فيعذبه عذابا نكرا ، وأما من آمن وعمل صالحا فله جزاء الحسنى ، وسنقول له من أمرنا يسرا " (٨٧،٨٨) ، أي لا أعاقبهم على ما سبق لهم من الشر ، بل أعفو عنهم . أجل . من يأت بمنكر بعد هذا (1) فسينال جزاء عمله ، ثم يرد الى الله ليعاقبه بما هو أشد وأدهى ، وأما من يعمل الخير ويطع أمري ، فأجزيه بالحسنى . هذا هو اجمال ما فصله مؤرخو اليونان من سيرة الرجل ، وقد قبله مؤرخو العصر الحاضر كحقيقة تاريخية لا مراء فيها .

وقد اتفقت كلمة مؤرخي اليونان على أن ما فعله غوروش بعد فتحه لبديا لم يكن العدل الصراح فحسب ، بل كان أكثر من ذلك . كان كله سماحة ومرحمة وكرما ونبلا . فلو عاقب أعداءه ، لكان ذلك عدلا لأنهم كانوا جناة مجرمين ولكنه لم يقف عند حدود العدل ، بل صعد الى المقام الأعلى من الانسانية الفاضلة .

يقول هيرودوتس ، أمر غوروش جنوده بأن لا يرفعوا السلاح على أحد غير المحاربين من الأعداء ومن يخفض رمحه منهم فلا يقتلوه . أما كروسس ، الملك المنهزم ، فأمر في شأنه أن لا يؤذيه أحد ، حتى ولو هاجمه بسلاحه . وقد أطاع الجيش أمره طاعة تامة ، حتى لم يشعر عامة الأهالي بويلات الحرب تغير

الملك والسلطان ، ولم تتغير حالة الأهالي .

وهنا يجب أن لا ننسى بأن انتصار غوروش كان هزيمة منكرة لآلهة اليونان ، لانها لم تقدر على صون عابدها الخاص ، كروسس من المحنة الكبرى .

قال المؤرخون ، استخار كروسس الآلهة ، قبل اقدامه على الهجوم ، وان هاتف " دلفي " قد بشره بالفتح المبين ، ولما انعكست الآية وانكسر كروسس ، استاء اليونانيون ، فأخذوا يؤولون ويحاولون أن يجعلوا من هذه الهزيمة الشنيعة فتحا دينيا لآلهتهم . فقد روى هيرودوتس ما قاله الناس في ليديا بعد اندحار ملكهم فزعموا أن هاتف دلفي لم يخطئ وانما أخطأ كروسس في فهم جوابه لتحمسه الحربي . لأن الهاتف كان قد قال له " ان هاجم كروسس الفرق ، فيدمر مملكة عظيمة " أي أنه يقضي بهجومه على مملكته العظيمة نفسها ، ولكنه أساء الفهم ، فظن أن الهاتف بشره بانهيار المملكة الفارسية .

وكذلك زعموا أن غوروش لما أمر باحراق كروسس فوق مصطبة الحطب ، تذكر كروسس ، وهو فوق المصطبة المشتعلة بالنار قول فيلسوف يوناني له فأخذ يتبسم وقد أخبروا غوروش بذلك فتأثر به أيما تأثر وأمر باطفاء النار حالا ، ولكن النار كانت قد تأججت وعجز رجال الملك عن اطفائها ، فنادى عند ذلك كروسس الاله " أبولو " وعلى رغم أنه لم يكن على السماء غيوم ، فقد أخذ المطر ينهمر ، فانطفأت النار في لمحة من البصر ، وأنقذ الاله حياة كروسس بعد أن عجز عنه كل البشر !!

هذه هي مزاعم القوم ، ولكنا حين نرجع الى ما صرح به هيرودوتس وزينوفن نعلم الحقيقة . فقد قام كروسس بهجومه بعد أن تقوى قلبه ببشارة آلهة اليونان وقد اشتهرت البشارة قبل بدء الحرب ، فأراد غوروش أن يبطل ما اعتقده القوم ،

ويريهم أن الذين اتخذوهم آلهة ، لا يستطيعون لهم نصرا ، حتى أنهم لا يقدرون على انقاذ من أحبوه وشروه بالفتح من الاحتراق وهو حى ، ولذلك أمر غوروش أولا أن يقصدوه على مصطبة الحطب ، ويشعلوا النار فيها ، ليرى الناس بأعينهم أن آلهتهم لا قدرة لها ، وأنه ليست هنالك معجزة تنقذ ملكهم من النار ، بل سيصير رمادا تذروه الرياح . فلما تجلت هذه الحقيقة للعيان ، أطفئت النار بأمر الملك ونجا خصمه المكسور من الهلاك . وأن معجزة " ابولو " المزعومة في أسطورة اليونان لتشير صراحة الى الحقيقة التى أراد غوروش اثباتها بعمله ، ولذلك حاول القوم نقضها باختراع هذه المعجزة الواهية الكاذبة .

وجاء فى القرآن أن ذا القرنين قال : " وسنقول له من أمرنا يسرا " . أى ان أحسن القوم ، فسيرون انه ليس فى معاملتى ما يشق عليهم أو يسوءهم . وقد شهد مؤرخو اليونان بأن معاملته كانت كما ذكره القرآن ، فقد كان هو للبلاد المغلوبة كله عطفا ورحمة . وقد نجاهم من كل ما كانوا يئنون تحته من الخراج الثقيل ، والضرائب الباهظة التى كان الملوك فى ذلك العصر يفرضونها على الرعية . وقد فتح يسر أوامر غوروش ورحمة قوانينه دورا جديدا للرخاء ورغد العيش للناس قاطبة .

خصائص غوروش العامة :

٦ ـ هذه كانت معاملته فى مهمته الغربية . أما كيف كانت عاداته وخصائله ؟ وماذا شهد به مؤرخو اليونان فى شأنها ؟ والى أى مدى تطابق هى ما ذكره القرآن عنها ؟

لا ينبغــــى لنا أن ننسى الأمر الواقع ، وهو أن المؤرخين الثلاثة الذين كتبـوا عن غوروش ، لم يكونوا من قومه ، ولا من أبناء وطنه ودينه ، بل كانوا من اليونـــان ليس هذا فحسب بل لم يكونوا من أصدقائه ومحبيه ، فقد هزم غوروش ليديا وهزيمة ليديا كانت في الحقيقة هزيمة لقومية اليونان ، والحضارة اليونانية ، ولدين اليونـــان . ثم خلفه داريوش وأردشير ، فأغارا على بلاد اليونان نفسها . وهكذا تولد العـداء بين الشعبين وتمكن .

ثم أن هؤلاء المؤرخين الثلاثة ألفوا كتبهم في عصر أردشير أو بعده ، أي في العصر الذى اشتعلت عواطف اليونان القومية فيه الى آخر حد ، وأخذ شعــــراء اليونان يكتبون أشد التمثيلات العدائية ضد الفرس ، وهى موجودة الى يومنا هذا . فما كان ينتظر في مثل هذه الظروف العدائية من رجل يونانى أن يغنى بأناشيـد المدح لعدو شعبه اللدود ، ويطلق العنان لقلمه فيجرى بالثناء عليه . ومع كـــل ذلك نرى كل واحد من المؤرخين الثلاثة يعترف بعظمة غوروش الخارقة للعـــــادة وبفضائله الأخلاقية الفذة .

وهذا دليل قاطع على أن محاسن غوروش كانت قد اشتهرت اشتهارا ما كـــان يسع أحدا معه أن ينكرها أو يمارى فيها ، حتى ولو كان من أكبر أعدائه فقــد شهدت بها الأعداء كالأصدقاء على سواء . ولله در من قال :

ومليحة شهدت لها ضراتهـا والفضل ما شهدت به الأعداء

ويقول هيرودوتس " كان (غوروش) ملكا كريما ، جوادا سمحا للغاية . لـــم يكن حريصا على جمع المال كغيره من الملوك ، بل كان حرصه على الكرم والعطـــاء . يبذل العدل للمظلومين ، ويحب كل ما فيه خير البشر " .

ويقول زينوفن " كان ملكا عاقلا ، رحيما . اجتمعت فيه مع نبل الملوك فضائـــل الحكماء . همته تفوق عظمته ، وجوده يغلب جلالته ، خدمة الانسانية شعــــاره ،

وبذل العدل للمظلومين ديدنه . حل فيه ـ مكان الكبر والعجب ـ التواضع والسماحة"

برزو شخصية غوروش :

٧ ـ وأظهر ما نجد في صفحات هؤلاء المؤرخين ، هو رفعة شخصية غوروش الفذة فقد أجمعوا على أنه لم يكن من نبت عصره، بل شخصا فذا ، كأنه سبق خلق عصره لم يعلمه معلم ، ولم يربه حكيم ، ولم ينشأ في بلد متحضر ، وانما كان ربيب الفطرة، وصنيع أيدي الحكمة الأزلية ، مضت الأيام الأولى من حياته في حجر الصحارى وكنف الجبال . كان من رعاة الصحارى الشرقية من فارس فواعجبا ! لما برز هذا الراعي أمام أعين العالم ، كان أكبر مظهر للحكم ، وأعظم شخصية للحكمة والفضيلة !

لقد نشأ الاسكندر الأكبر على يد أرسطاطاليس ، ولاريب أنه كان فاتحا عظيما ، ولكن هل فتح زاوية من زوايا الانسانية والأخلاق ؟ لم يوجد لغوروش أرسطاطاليس يعلمه ، بل انه عوضا من المدارس البشرية ، نشأ في مدرسة الفطرة ومع ذلك لم يكتف بتسخير البلاد كالاسكندر ، بل سخر مملكة الانسانية والفضيلة كذلك .

ان عمر فتوح الاسكندر لم يتجاوز عمر الاسكندر نفسه ، ولكن المعاقل التي شيدتها فتوح غوروش ، صارعت حوادث الدهر الغلابة قرنين كاملين دون أن يصيبها تلف . ان الاسكندر لم يلفظ أنفاسه الأخيرة ، حتى تقطعت أوصال مملكته المفتوحة ، ولكن غوروش عندما انتقل من الدنيا ، كانت مملكته مستعدة للتوسع والتمكن . لم يكن ينقص فتوحه الا مصر ، فأتم النقص ولده ، باستيلائه على مصر الخالدة ، وبرزت بعد بضع سنين تلك الامبراطورية العالمية التي لم ير العالم المتحضر مثلها قط ، فبسطت سلطانها على ثمانية وعشرين قطرا من قارتي آسيا وأوربا ، وكذلك على مصر وكان على عرشها خلف غوروش ، يحكمها وحده بلا منازع !

كانت فتوح الاسكندر ، فتوحا مادية ، بينما فتوح غوروش شملت الجسد والروح معا . تولى الأولى رأسها ، فلا تقدر على البقاء ، بينما تبقى الأخرى غير متزحزحة !

اعتراف المؤرخين المصريين :

وقد اعترف بهذه الحقيقة محققوا التاريخ فى العصر الحاضر . فهذا المستر غرندى (GBEYundy) أستاذ جامعة اكسفورد ، والاختصاصى الثقة فى التاريخ القديم ، والذى ناله تأليفه " الحرب الفارسية الكبرى " قبولا عاما ، يقول فى مقال له :

" لقد كان نجاحه ، نجاحا عالميا . كان قبل اثنتى عشرة سنة أميرا مجهولا لامارة مجهولة وهى x " انشان " فاذا بنا نراه قد خضعت له جميع تلك البلاد التى كانت مراكز العظمة للشعوب الكبيرة السابقة . فهذه البلاد التى ادعت ملكية الأرض فى أيامها لم يعد أحد منها يتجرأ الآن على ادعاء الزعامة لنفسه ، فمن بلاد سارغون ، الملك الأساطيرى للمملكة الأكاديمية الى بلاد بخت نصر ، امبراطور بابل ، سجدت كلها لمهيننا الامبراطور الفاضل الجديد " .

" انه لم يكن فاتحا عالميا ، بل حاكما كبيرا كذلك . وان الشعوب لم تقبل الدور الجديد فقط ، بل رحبت به أيضا . ففى السنين العشرة الأخيرة من حياته بعد فتح بابل ، لم تحدث ولا ثورة واحدة فى مملكته الواسعة . أجل كانت رعيته تهابه ، ولكن لا تخشى قسوته ، اذ حكومته لم تعرف عقاب القتل والسلب والنهب ، ولم يكن المذنبون يجلدون ، ولا تصدر الأوامر بالمذابح العامة ، ولا تخاف الشعوب الجلاء من الأوطان ، بل كان الأمن والسلام يشمل الجميع ، وترفرف الطمأنينة والرفاهية على الكل . لقد محيت آثار مظالم الملوك الآشوريين والبابليين ، وارجعت الشعوب المنفية الى أوطانها ، وأعيدت اليها آلهتها ومعابدها ، لم يبق اعتساف ضد العوائد والعبادات القديمة "

" بذل العدل لسائر الشعوب ، ومنح الحرية التامة لجميع الأديان والمذاهب

وقد حل محل الخوف العام السابق ، عدل عام ، وسماحة كريمة ، وصداقة تامــــة"(1)

أرأيت كيف يشرح ويفصل قصاص اليوم ما أجمله القرآن الكريم فى كلمات وجيـــزة من فضائل الرجل وخصائله الحميدة !

---

١ ـ راجع أيضا كتاب تاريخ العالم لهمرتن ، ج ٢ ص ١٠٨٥ :

((٥))

" معتقدات ذى القرنين المذكورة فى القرآن وغوروش "

وآخر وأهم ما يلفت نظرنا اليه من أوصاف ذى القرنين ، هو اخلاصه العبادة لله وحده ، وايمانه بالحياة الآخرة . وقد مر بنا ما ذكره القرآن منه ، فلننظر الآن هل كان غوروش كما وصف به ذو القرنين ؟

أجل تدل القرائن والشواهد كلها على ذلك .

فأول ما يواجهنا من الأمر ، هو عقيدة اليهود القومية فى المسألة .

صرحت صحف اليهود الدينية عن غوروش بأنه كان موعودا من الله ومسيحه بعثه الله لينفذ مشيئته ويتم مرضاته .

ومن المعلوم أن اليهود ماكانوا ليعتقدوا ذلك فى شأن رجل وثنى لا يوحد الله ، فلابد من أن يكون غوروش ممن يوحد الله ويؤمن به .

ولا يخفى أن عصبية اليهود الجنسية كانت شديدة جدا ضد الأجانب غير الاسرائيليين ، فما كان أشد على عصبيتهم القومية من أن يعترفوا لأجنبى بكرامة وشرف ، وقد منعتهم هذه العصبية نفسها فى بدء الاسلام من الاعتراف بنبى الاسلام صلى الله عليه وسلم ، فكان يقول بعضهم لبعض ، " ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم " (٣ : ٧٣) ولكنهم على رغم ذلك خفضوا جناحهم لفضائل غوروش الذى كان أجنبيا عنهم من كل الوجوه ، ولم يكتفوا بالاعتراف بكرامته ، بل حسبوه موعودا به على لسان الأنبياء وصفى الله ، فهذا الأمر الواقع يحملنا على البت بأنه كان فى دين غوروش ما استحسنه اليهود ، وهو الذى حملهم على الاعتراف بفضله رغم عصبيتهم ضد الأجانب .

ومن البديهى أن يحمد الانسان من أحسن اليه ويحترمه ، فما كان عجيبا من اليهود أن يغنوا بعظمة الملك الذى نجاهم من الأسر والذل ، غير مبالين بدينه ، ولكن الذى ما كان ينتظر منهم ، أن يقولوا عن ذلك الملك بأنه مرسل من عند رب اسرائيل وأنه من أصفيائه وأوليائه .

" مزديسنا " أى الدين الزردشتى :

لنرى الآن ما عندنا من المعلومات من معتقدات غورش الدينية ؟

اذا نظرنا الى الشواهد التاريخية ، نكاد نقطع بأن غورش كان يدين بدين مزديسنا ، أى انه كان يتبع الدين الذى جاء به زردشت الشهير (١) .

متى وأين ظهر زرادشت ؟ لا نعلم حق العلم ، وقد ذكر مؤرخو اليونان فى القرن الثالث والثانى قبل الميلاد ما كان شائعا فى عصرهم عن زمنه ، فقالوا ، مضت عليه ألوف السنين . ولا يخفى أن اطلاق القول بالقدم كهذا لا يكون الا اذا بعد العهد

---

١ ـ الاسم الصحيح لاسم زردشت فى اللغة البهلوية " زاراتهشترا " حرفه اليونان فقالوا : " زارا سترو " والحروف الأخيرة للاسماء البهلوية كالسنسكرتية مهموزة دائما ، أى تنطق مضمومة تقريبا ، ولاظهار هذه الحالة النصبية ، يكتبون الألف فى اللاتينية الحاضرة ، وعلى ذلك ينطق الألف الأخير من " زاراتهشترا " بصوت يشبه النصب . وتتبدل تاء الكلمات البهلوية القديمة فى بهلوية العصر الساسانى ، بالدال ، فمثلا " يزتا " الذى ذكر فى أوستا أصبح فى البهلوية الساسانية " يزدا " ثم حرفوه فقالوا " يزدان " وكذلك " امرتات " كان اسما لملك من الملائكة ، واسما لشهر فارسى كذلك ، تغير فى البهلوية الساسانية فأصبح " امرداد " وهذا هو ما وقع لاسم مؤسس الدين الفارسى ، فصار زاراتهشترا " زارادهشترا " ثم صار بكثرة الاستعمال " زردهشت " فقال الدقيقى : متى خسرون رند وكيش زردهشتى . وجاء فى شاه نامه :

خجسته پئ نام أو زردهشت   كه أهريمن بدكيش رابكشت

وحرف العرب " زردهشت " هذا بدورهم فقالوا : زرتشت أو زردشت .